مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

الخطاب المسجدي ودوره في الوقاية من الإدمان

Mosque discourse and its role in the prevention of addiction

د. عبد الحفيظ حمزة

مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية الطارف

ملخص: تهدف هذه الورقة إلى إبراز دور الخطاب الديني المسجدي في الحد من الإدمان كظاهرة مرضية تسبب تمزيق شبكة العلاقات الاجتماعية، وهو الأمر الذي يتعارض مع مقصد الدين في توحيد الأمة ولم شملها مصداقا لقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا..)، فالخطاب المسجدي المبني على أسس ومرتكزات العمومية ومصدرية الوحي والمستوعب لعوالم الإنسان الثلاثة: الجسد والعقل والروح، والمتصف بصفات الوِفاقية والواقعية والبساطة والوضوح يمكن للأمة أن تراهن عليه في معالجة ظاهرة الإدمان ومن ثم حفظ تماسكها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الدين، المسجد، الإدمان.

Abstract: This paper aims to highlight the role of mosque religious discourse in reducing addiction as a pathological phenomenon that causes the rupture of the network of social relations, which contradicts the purpose of religion to unify the nation and reunite it, in accordance with the Almighty's saying: (And hold fast to the rope of God all together and do not be divided ..), so the mosque discourse is based on The foundations and pillars of generality and the source of inspiration and comprehension of the three worlds of man; body, mind and spirit, and which is characterized by the qualities of harmony, realism, simplicity and clarity that the nation can bet on in dealing with the phenomenon of addiction and then preserving its cohesion.

Keywords: Discourse, religion, mosque, addiction.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

مقدمة:

رغم التطورات الهائلة التي تشهدها ساحة الإعلام والاتصال، لا يزال الخطاب المسجدي كأحد هذه الوسائل واقفا يقوم بدوره المنوط سواء في مواكبته للتحولات أو في متابعته للتغيرات أو في تصديه للآفات والمشكلات التي تعترض المجتمع بكافة شرائحه. فالخطاب المسجدي غدا مرجعا فكريا وسلوكيا يضبط حركتا الفكر والسلوك معا بضوابط الشرع والعقل، وهو ما يسمح بتحقيق الرشاد قبل مباشرة مهمة الإرشاد. وقد يزداد الأمل والتفاؤل بجدوى هذا الخطاب بازدياد عدد المساجد والمصليات المشيدة والمجهزة والمؤطرة بشكل أفضل، وكذلك بالانتشار الواسع للوسائط الإعلامية المهتمة برصد وتتبع هذا النوع من الخطاب، فإنه يتوقع أن يصل فحوى هذا الخطاب إلى أكبر عدد من الناس، لذلك فالمراهنة على دور الخطاب المسجدي في الظرف الراهن أضحى أمرا حتميا، ليس فقط على مستوى المحافظة على هوية المجتمع ومرجعيته، بل حتى على مستوى رصّ الصفوف ونبذ الفرقة وتحصين الجبهة الداخلية للوطن، مصداقا لقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا..) [سورة آل عمران، جزء من الآية 103].

إن الخطاب المسجدي بما يستند إليه من أسس ومرتكزات وبما يتصف به من مواصفات مستعد للقيام بدوره على أكمل وجه وفي كل الأوقات والمناسبات لاسيما عند نزول المصائب واشتداد الأزمات، كما حدث من قبل مع نازلتي كورونا وحرائق الغابات وغيرهما، ولا يزال هذا الخطاب إلى اليوم وسيبقى

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

يضطلع بدوره من أجل إحداث التغيير الإيجابي في حياة الأفراد والمجتمع، ولقد شهدت الساحة الدعوية للمساجد في الثلاثي الأخير من سنة 2022 م انطلاق حملات تحسيسية في شكل دروس وخطب وندوات، وكانت في مضامينها تهدف إلى أخلقة الحياة العامة، وهذا بعد أن صار الواقع الاجتماعي يعج بالعديد من الظواهر غير المرغوب فيها شرعا وعقلا، لذا بات لزاما عقد المزيد من المؤتمرات وتنشيط الندوات وتقديم المحاضرات والدروس المسجدية من أجل فهم هذه الظواهر وتشخيصها، حتى تتم معالجتها أو على الأقل الحد من آثارها على الفرد والمجتمع.

لقد تطور مفهوم الإدمان في هذا العصر، فلم يعد كما كان في السابق يقتصر على تناول المشروبات الكحولية وتعاطي المخدرات بكافة أنواعها وأشكالها، بل امتد مفهوم الإدمان واتسع حتى صار يشمل بعض الأنواع الأخرى مع اختلاف متباين في درجة تأثيرها؛ كالإدمان على العمل المسبب للاحتراق الوظيفي، والإدمان على الطعام المسبب للسمنة وغيرهما، ولعل أشد الأنواع خطرا على الناشئة في زمن التطور الرهيب لتقنيات الإعلام والاتصال هو الإدمان على الأنترنت، والتي يمكن أن يصطلح عليها اليوم بأم المصائب، وذلك بالنظر إلى ما تعرضه من مضمون لا يمت في الغالب بصلة إلى دين وأعراف المجتمع. ولقد أثبتت نتائج العديد من الدراسات العلمية في مجال الطب وعلم النفس والاجتماع والعلوم الاقتصادية الآثار الخطيرة للإدمان، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع أو حتى على مستوى الموارد المالية للدولة، فلقد فتك الإدمان بصحة الكثير من الأفراد وسبب لهم مختلف الأمراض النفسية

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

والعضوية، كما تولد عن الإدمان ظواهر أخرى أشد خطرا على الحياة الاجتماعية للأفراد، كالاعتداء والشذوذ والطلاق والتوقف عن الشغل وغيرها من المشكلات التي تتطلب حكمة وبصيرة في مواجهتها.

وفي مواجهة ظاهرة الإدمان وما ينجر عنها من آفات اجتماعية تبذل الدولة قصارى جهودها للتعامل مع مخرجات هذه الظاهرة من خلال انتداب مؤسساتها لتقوم بهذا الدور على غرار المؤسسة الأمنية والقضائية ومؤسسات إعادة التربية، والمؤسسات الاستشفائية، وفي التعامل مع مدخلات الظاهرة تقوم الدولة أيضا بانتداب مؤسسات أخرى على غرار مؤسسات الإعلام والاتصال ومؤسسات التربية والتعليم كما تراهن أيضا على الخطاب الديني المسجدي كآلية للوقاية من هذه الآفة الخطيرة، فهل يمكن للخطاب الديني المسجدي الصادر عن المؤسسة الدينية أن يضطلع بهذا الدور المحوري ويساهم في احتواء هذه الظاهرة وبالتالي انتشال ضحاياه من ضنك الحياة؟ وإذا كان الجواب كذلك فكيف يمكن لهذا الخطاب أن يضطلع بهذا الدور في الواقع؟ للإجابة عن هذا السؤال جاءت هذه الورقة الموسومة بـ "**الخطاب المسجدي ودوره في الوقاية من الإدمان**" وقبل البدء في التعرض لهذا الدور نتطرق أولا إلى تحديد مفاهيم المصطلحات الواردة في العنوان.

1- تحديد المفاهيم:

1-1- مفهوم الخطاب الديني المسجدي:

لتحديد هذا المفهوم يستلزم تفكيك مفرداته وهي (الخطاب، الدين، الخطاب الديني، المسجد) وتحديد مدلولاتها، ثم تحديد المدلول المركب الأول وهو **الخطاب الديني، ثم المدلول المركب الثاني وهو** الخطاب الديني المسجدي.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

1-1-1- مفهوم الخطاب:

أصل الخطاب في اللغة من مادة {خ ط ب}، ومنه الخَطْبُ وهو الشأنُ والأمر، صَغُرَ أو عَظُمَ فيقال خَطَبَ الخَاطِب على المِنبَرِ خَطَابَة وخُطْبة بالضم، والخُطبة هي الكلام المنثور المسجوع ونحوه ويقال رجل خطيب أي حَسَنُ الخُطبة، وفصل الخطاب يعني الحُكم بالبينة أو اليمين أو الفقه في القضاء[1]، ويفهم مما سبق أن لفظة خطاب تعني إلقاء الكلام أو الحديث نحو الغير لغرض من الأغراض كطلب شيء ما أو تبليغ أشياء معينة، وربما لتوضيح أمر ما يكتنفه الغموض، أو لإقناع طرف أو أطراف بقضية ما ونحو ذلك.

أما في الاصطلاح فيختلف هذا المفهوم بحسب تعدد وتنوع الخلفيات الفكرية للباحثين، وبما أن الخطاب يتم تصنيفه في مجال الاتصال فالباحث يتبنى المفهوم المحصور في هذا المجال وعليه يمكن تعريف الخطاب: بأنه عبارة عن عملية اتصالية يتم فيها الاتصال بين مرسل وهو الخطيب ومستقبل وهم جمهور المتلقين بغرض توصيل رسالة ما، ومعلوم أن الخطاب يتعدد ويتنوع بحسب عدد من المحكات؛ فبحسب المضمون والأهداف يتنوع مثلا إلى خطاب سياسي إذا كان المضمون والهدف سياسيا، أما إذا كان هذا المضمون والهدف دينا فيعد الخطاب دينيا وهكذا. وبحسب وسيلة النقل المتاحة؛ فمثلا إذا كانت وسيلة نقل الخطاب تلفازا، فيكون نوع الخطاب تلفزيونيا، وإذا كانت الوسيلة إذاعة فنوعه إذاعيا. ويختلف أيضا، بحسب

(1)آبادي، 2008، ص.76.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

الشخص المُلقي لهذا الخطاب؛ فإذا كان الخطاب يُلقى من طرف رئيس الدولة فالخطاب رئاسيا، وإذا ألقي من طرف إمام على المنبر فهو خطابٌ منبريٌ. كما يختلف تصنيف الخطاب كذلك بحسب المكان فإذا أُلقي الخطاب في مكان ما فيسمى الخطاب بتسمية ذلك المكان؛ فمثلا إذا كان يلقى في المسجد فهو خطابٌ مسجدي. وعليه فنوع الخطاب الذي نوظف مدلوله في هذه المداخلة هو الخطاب المسجدي والذي يضم معه الخطاب المنبري الذي يلقيه الإمام على المنبر.

1-1-2- مفهوم الدين:

أصل الدين في اللغة من دان يدين أي عَزّ وذلّ وأطاع، وعصى واعتاد خيرا أو شرا، والدّيّانُ هو القهارُ والقاضي والحاكم والسائس والحاسب والمجازي الذي لا يضيّع عملا[1].

أما مفهوم الدين من الناحية الاصطلاحية فليس محل اتفاق بين مختلف الباحثين في العلوم الإنسانية، والسبب عائد إلى اختلاف المعتقدات وتنوع الثقافات الدينية لدى المجتمعات، ففي معجم علم الاجتماع المعاصر يتحدد مفهوم الدين على نهجين؛ نهج يعتبر الدين نسقا من المعتقدات والمقدسات ترجع إلى التقديس الديني الذي يربط النّاس معا على شكل جماعات اجتماعية، وهذا الرأي منسوب إلى إميل دوركايم الذي حدد الدين ضمن وظائفه الاجتماعية، وهناك نهج ثانٍ ينسب إلى العالم الألماني ماكس فيبر وعالم اللاهوت

(1)آبادي، 2008ص1080.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

ب.يتلج، حيث حددا الدين لأي مجموعة باعتباره إجابات لمعضلات بالوجود البشري كالولادة والمرض والوفاة التي تجعل العالم ذا معنى، فبهذا التحديد يكون الدين كاستجابة بشرية للأشياء التي تهتم بها بشكل قاطع أو نهائي[1].

وبما أن الموضوع يتناول الخطاب الديني المسجدي، فإن المقصود بالدين ينصرف مباشرة إلى الدين الإسلامي، حتى أن مفهوم الدين في منظور الثقافة الإسلامية يراد به الإسلام لا غير، ونصوص القرآن تشير إلى هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (الآية 19 سورة آل عمران). والدين الإسلامي كما يراه أهله من العلماء والدعاة هو: "علاقة خضاعة وضراعة يتخذها الإنسان من حيث هو كائن حر نحو موجود أعلى ويرتب عليها علاقة بسائر الوجود"[2]. وإذا كان الدين بهذا المعنى هو علاقة بين عابد ومعبود، فإن التكليفات الإلهية هي من تنظم وتضبط هذه العلاقة؛ فالمعبود وضع هذه التكليفات للبشر وخاطبهم من خلالها بعبادته ومن ثم أصبحوا عبادا له وحده، وعليه فيمكن اعتبار الدين الإسلامي، في حد ذاته، خطابا صادرا عن الله ويتوجه به إلى عباده لتحقيق مصالحهم في القريب العاجل أو في البعيد الآجل.

مفهوم الخطاب الديني: بناءً على المفهومين السابقين لكل من الخطاب والدين؛ يتضح لنا أن الخطاب الديني هو عملية اتصالية يتم فيها الاتصال بين مرسل وهو الخطيب ومستقبل وهم جمهور المتلقين بغرض توصيل رسالة تحمل مضمونا دينيا. فالخطاب الديني إذا هو نوع من أنواع الخطاب له ما يميزه عن

(1) خليل، 2006، ص361.

(2) الترابي،1990،ص111.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

غيره من ألوان الخطاب، وتكمن ميزته في كونه يحمل رسالة مضمونها مقدسٌ؛ فما يبلغه الخطيب هنا هو مضمون الدين نفسه، أي الإسلام، وكما أشرنا سابقا فإذا كان الخطاب يحمل مضمونا إسلاميا فنحن بصدد الحديث عن الخطاب الإسلامي، والذي يُراد به كل فهم للإسلام أو عمل من أجله؛ فالخطبة الدينية والدرس المسجدي خطاب ديني، والمجلة الإسلامية أو الكتاب الإسلامي خطاب ديني، المعرض والرسم الكاريكاتوري إذا كان يحمل مضمونا دينيا فهو خطاب ديني وكذلك حملات التوعية والإرشاد والوعظ هي خطاب ديني. وبناء عليه يكون الخطاب الديني شاملا لحياة الإنسان، بل يمتد اهتمامه به من قبل ولادته إلى ما بعد وفاته[1]ونحو هذا أشار منير حجاب في كتابه "تجديد الخطاب الديني"، حيث ذكر أن هذا الخطاب الديني قد يأخذ مفهوما شاملا يتحدد في تبليغ ونشر التعاليم والقيم الدينية الإسلامية[2].

1-1-3- مفهوم المسجد:

يشير الاشتقاق اللغوي لهذا اللفظ إلى المكان المعد للسجود[3]وذهب ابن جرير الطبري في معرض تفسيره للفظة مسجد بأنه: "الموضع الذي يُسجد لله فيه"[4]؛ أي المكان الذي تؤدى فيه الصلاة، لأن السجود يرمز للصلاة، أما

(1) بوقلقولة، 2007، ص60.

(2)حجاب، 2004، ص17.

(3) وانلي، 1992، ص13.

(4) الطبري، دس، ص635.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

بخصوص مفهوم المسجد حسب القواعد القانونية والتنظيمية المعمول بها في الجزائر، فقد ورد في المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 09 نوفمبر 2013 المتضمن القانون الأساسي للمسجد لاسيما في المادة 2 منه أن: "المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله، ولتعلم ما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم، وهو مؤسسة دينية اجتماعية تؤدي خدمة عمومية هدفها ترقية قيم الدين الإسلامي"[1].

وعلى هذا الأساس فالمسجد هو المكان الذي من خلاله يقوم الإمام بتأدية مهامه المتعددة والمتمثلة في إمامة المصلين، وقراءة الحزب الراتب، وإلقاء الدروس والخطب المنبرية، وتعليم وتحفيظ القرآن للناشئة ونحوها، وإذا نظرنا إلى هذه المهام وجدناها تشكل في مجموعها خطابا دينيا يخاطب به الإمام جمهوره انطلاقا من المسجد، ويمكن تسميته بالخطاب المسجدي.

وبناءً على ما سبق من مفاهيم حول مصطلحات كل من: الخطاب والدين والمسجد، نخلص إلى تحديد كلي لمدلول **الخطاب الديني المسجدي**، فيمكن تعريفه تعريفا إجرائيا بأنه: **"تلك الطرق والأساليب الدعوية التي يستخدمها الخطيب، فردا أو جماعة أو هيئة، لنشر وتبليغ التعاليم والقيم الدينية الإسلامية لرواد المسجد سواءً أكانوا في محيطه الداخلي أو في المحيط الخارجي بغرض إمالتهم للإسلام وإقناعهم للالتزام بمضمونه ولإحداث التغيير في حياتهم".**

(1) الجريدة الرسمية، نوفمبر2013.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

فالخطاب الديني المسجدي يحمل مضمونا إسلاميا ويمارس في المسجد، ويراهن على استقطاب أكبر عدد من الأفراد جمهور المصلين بغرض إمالتهم لهذا الدين وترغيبهم في تعاليمه وقيمه، وحثهم على الانتساب إليه والالتزام بشريعته والثبات على منهجه والدفاع عنه، وهو بهذا المعنى يسعى للتأثير في الجماهير من خلال تلك الأساليب والطرق، ويهدف أيضا إلى توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم، وبالتالي المحافظة على هويتهم.

1-2- مفهوم الإدمان:

الإدمان كما جاء في معجم علم النفس والتحليل النفسي هو حالة نفسية وعضوية تنتج من تفاعل الفرد مع العقار، ومن نتائج هذه الحالة ظهور خصائص تتسم بأنماط سلوكية مختلفة تشمل الرغبة الملحة في تعاطي العقار بصورة مستمرة أو دورية للشعور بآثاره النفسية والعضوية ولتجنب الآثار المهددة والمؤلمة التي تنتج من عدم توفره، وقد يدمن المتعاطي على أكثر من مادة واحدة[1]. ويرى متخصصون في هذا المجال أن الإدمان أزمة في أسلوب الحياة كما أنه قضية أمن قومي وتنمية، لذلك فإن الأمر يتطلب جهودا ومساهمات من كل الجهات والمؤسسات الحكومية وحتى الدولية والشعبية، لكونها قضية ذات تأثير هدام على مرافق الحياة الإنسانية كافة[2]. أما منظمة الصحة العالمية في أحد تقاريرها فتقول: "إن التعلق بالمخدر هو حالة نفسية، وفي بعض الأحيان

(1) فرج عبد القادر، د س، ص39.

(2) جواد، د س، ص28.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

جسمية، تنتج عن التفاعل بين كائن حي ما، وبين مخدر ما، وتتسم هذه الحالة باستجابة سلوكية واستجابات أخرى تتضمن دائما إجبار المرء على أن يتناول المخدر بصفة مستمرة أو على فترات، بقصد المرور بخبرة آثاره النفسية، وفي بعض الأحيان تجنب الشعور بعدم الارتياح بسبب عدم تناوله.."[1].

2- **أنواع الإدمان:**

الإدمان ليس نوعا واحدا بل أنواعٌ كثيرة، وهناك من قسمها إلى مجموعتين[2]؛ المجموعة الأولى خاصة بالمخدرات بمختلف مصنفاتها وتشمل الكحول بكافة ألوانه وأشكاله، وأيضا الأفيون ومشتقاته، وكذلك المواد المنومة والمهدئة كالديازيبام ولورازيبات وغيرهما، المنشطات كالأمفيتامين والكافيين، القنب، العقاقير المهلوسة، المستنشقات والمواد المتطايرة كالغاز، التبغ.. أما المجموعة الثانية فيشمل الإدمان فيها على مواد أخرى متفرقة كمركبات الزانتين الموجود في القهوة والكاكاو والكولا، وهناك المسكنات غير المخدرة كالأسبرين وغيره وهناك من يضيف نوعا آخر من الإدمان وهو الإدمان السلوكي كالإدمان على الأنترنت، والإدمان على القمار، الإدمان على الجنس، والإدمان على التسوق .. إلخ.

3- **أسباب الإدمان:**

هناك تباين كبير في وجهات النظر فيما يخص تحديد الأسباب المؤدية إلى الإدمان، فبالنسبة لعلماء الشريعة الإسلامية وكما يفهم من عموم الأدبيات

(1) غباري،2007، ص16.

(2) الدمرداش،1982، ص9-17.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

الفقهية المنشورة أن السبب الرئيسي للإدمان هو ضعف الوازع الديني، فالخواء الروحي الناجم عن التربية غير السليمة للفرد هو الذي يدفع بالأفراد إلى الميل نحو المحظورات، كتناول المسكرات وارتكاب الفواحش والموبقات، والإسلام كما تؤكد مضامينه يحارب جميع أنواع الجرائم لاسيما الخلقية باعتبارها تعكر صفو المجتمع وتزعزع أمنه، وإلى هذا يشير الشيخ محمد الغزالي في قوله: " وإذا تبين من تتبع أحوال الشخص أن فطرته اِلْتَاثَتْ، وأنه أصبح مصدر عدوان على البيئة التي كفلته وآوته، وأنه قابل عطفها وعنايتها بتعكير صفوها وإقلاق أمنها، فلا ملام على هذه البيئة إذا حدَّت من عدوان أحد أفرادها.." [1].

أما علماء السلوك والنفس والاجتماع فيرون عوامل أخرى للإدمان؛ منها ما يتعلق بذات الفرد؛ كالعوامل العضوية والعقلية والنفسية، ومنها ما يتعلق بالعوامل البيئية[2]؛ أي البيئة الداخلية للفرد ويقصد بها الأسرة ووضعها الثقافي والتعليمي والاجتماعي والاقتصادي والصحي، والبيئة الخارجية كالحي أو المؤسسة التي يزاول فيها الفرد تعليمه أو عمله، وعليه فالإدمان بحسبهم ظاهرة نفسية واجتماعية وصحية واقتصادية تتطلب تكاتف جميع الأطراف لمعالجتها.

2- أركان ومرتكزات ومواصفات الخطاب الديني المسجدي:

2-1- أركان الخطاب الديني المسجدي:

بما أن الخطاب الديني المسجدي هو عبارة عن عملية اتصالية لتبليغ أجزاء من محتوى الدين ويتم بين مرسل ومستقبل في مكان محدد وهو المسجد، فإن أركان هذه العملية تنحصر فيما يلي:

(1) الغزالي، (د س)، ص29.

(2) غباري،2007، ص64.

أ/ الخطاب: فالخطاب الذي يبلغ وينشر بمختلف الطرق والأساليب بما يحمله من مضامين دينية يعد جوهر العملية الاتصالية؛ فبوجوده توجد أطراف العملية الاتصالية وبانعدامه تنعدم هذه العملية برمتها، وهذا الخطاب له أسس ومرتكزات يقوم عليها وأيضا مواصفات سنأتي إلى بيانها فيما بعد.

ب/ الخطيب: وهو من يقوم بتوصيل هذا الخطاب إلى الجهة الثانية، فقد يكون فردا كخطيب يوم الجمعة مثلا يلقي خطبة على جماهير المصلين، أو يكون فردين أو أكثر؛ كثلة من المشايخ والعلماء تقوم بإلقاء عدد من المداخلات على الجمهور، أو يكون الخطيب في شكل شخص اعتباري كهيئة رسمية تصدر إعلانات أو بيانات لصالح رواد المساجد كالتعليمات والمراسلات الوزارية مثلا والتي تطلب تناول موضوعات محددة في مناسبات معينة.

ج/ الجمهور: والجمهور المراد به هنا هم رواد المسجد من كل فئات المجتمع، لأن المسجد يقصده الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، النخبة والعوام، العامل والبطال، المقيم والزائر وغيرهم من الفئات. ويمكن الإشارة هنا أيضا إلى إمكانية التحاق فئات جماهيرية أخرى بجمهور المسجد خاصة عند استعمال الوسائل التقنية كمكبرات الصوت، فيتم إسماع الخِطاب لجمهور المارة، وأيضا العائلات المجاورة للمسجد، وبوجود الوسائط الإعلامية المتنوعة قد يزيد عدد المتلقين لهذا الخطاب.

- يقوم بعملية التبليغ لهذا المحتوى بالطرق والأساليب التي تزيد من رغبة هذه الجماهير في الاستمالة والإقبال والإقناع.

- **مرتكز شموله لعوالم الإنسان الثلاثة (العقل والجسد والروح):** فلا يجب على الخطاب أن يجنح إلى أحد العوالم على حساب أخرى، فمثلا لا يفرط في مخاطبة الروح على حساب الجسد ولا الجسد على حساب العقل وهكذا، بمعنى يجب إضفاء نوعٌ من الوسطية والاعتدال في مخاطبة هذه العوالم، لأن الإفراط في الاهتمام بناحية على حساب أخرى من حيث التناول والمخاطبة من شانه أن يولد التطرف سواء على مستوى الفهم أو الممارسة السلوكية.

2-2- مواصفات الخطاب الديني المسجدي:

ويمكن الإشارة إلى جملة من المواصفات فيما يلي[1]:

أن يكون الخِطاب متسما بالوِفَاقية: بمعنى أنه خطاب توافقي يعمل على جمع الأفراد والجماعات في صف واحد وعلى كلمة واحدة، وتكمن هذه الميزة في القدرة على تحقيق التماسك الاجتماعي والذي هو مطلب سياسي بالدرجة الأولى لكونه يساهم في تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعيين.

- **أن يكون هذا الخطاب واقعيا:** والواقعية تتجلى مظاهرها في التركيز على القضايا الاجتماعية الراهنة للأفراد والجماعات، فالخطاب الديني المسجدي مع أصالته يجب أن يواكب التطورات ويساير التحولات، يحلل ويناقش قضايا الواقع، ويصف الحلول لجميع المشكلات، فلا يجب أن يغيب أو يُغيّب عن انشغالات الأفراد وهموم الأمة.

(1) بوقلقولة، 2007، ص60.

- **أن يتسم الخطاب بالبساطة والوضوح سواء من حيث المحتوى أو في أسلوب النشر والتبليغ: أي**؛ خاليا من الصعوبة والتعقيد، ويراعي أحوال ومستويات جمهوره من المتلقين، وهذا حتى يتم فهم المضمون وإيصاله إلى أكبر عدد من الأفراد والجماعات، فيساهم بذلك في تنمية الوعي ونشر القيم.
- **أن يكون الخطاب متصفا بالوسطية والاعتدال في معالجة القضايا الإنسانية والظواهر الاجتماعية:** بمعنى يجب إضفاء نوع من المرونة والتساهل في الأمور والقضايا الفرعية والجزئية التي ليست من جوهر الدين كالقضايا الحياتية المتعلقة بشكل ولون اللباس ونحو ذلك، أما فيما يخص القضايا القطعية الثبوت والدلالة في نصوص الوحي الإلهي فعلى الخطاب الديني أن يتمسك بها ولا يحيد عنها كقضايا الزواج والطلاق والإرث على سبيل المثال، فالتحدث بخلاف ما هو منصوص عليه في مثل هذه المواضيع قد ينجم عنه معوقات اجتماعية ونتائج عكسية.

3- دور الخطاب الديني في مواجهة ظاهرة الإدمان:

يتجلى دور الخطاب الديني في مواجهة ظاهرة الإدمان من خلال ما يقوم عليه من مرتكزات وما يتمتع به من خصائص ومواصفات، وسوف نحاول تجلية هذا الدور في ضوء تلك المرتكزات والمواصفات.

3-1- دور الخطاب الديني في مواجهة ظاهرة الإدمان في ضوء المرتكزات:

3-1-1- دور الخطاب المسجدي في مواجهة ظاهرة الإدمان في ضوء مرتكز العمومية:

إن ضرورة اتصاف الخطاب الديني المسجدي بالعمومية سيسمح بتوجيهه لجميع الناس على اختلاف أجناسهم وفئاتهم ومللهم ونحلهم، فالخطاب المسجدي كما يجب أن يصل إلى المؤمن التقي النقي فيجب بالمقابل أن يصل إلى الكافر والفاجر والضال والتائه والغافل، وبناء عليه فإن وصول محتوى هذا الخطاب باستمرار إلى الأفراد المدمنين يعد في حد ذاته إنجازا كبيرا بغض النظر عن التأثير اللحظي لذلك الخطاب، ولقد كانت لي تجربة شخصية مع شاب مدمن على الكحول، حيث أقبل هذا الشاب علينا ونحن في مجلس عزاء كنت ألقي فيه كلمة لمواساة أهل الميت، ولما رآنا هذا الشاب في ذلك المشهد وهو في حالة سكر أراد أن يقبل علينا للاستماع، فقام بعض الأشخاص بمحاولة لإبعاده، لكنه أصر على حضور المجلس، فما كان مني إلا أن استأذنت لهم بالسماح له بالجلوس والاستماع، فجلس في سكون ينظر إلي ويستمع بخشوع حتى النهاية، ثم قام وانصرف وعلامات الندم والحسرة بادية على وجهه كأنه يستهدي هذا المجلس لينجو من هذه البلوى.

لا شك أن وصول فحوى الخطاب المسجدي باستمرار لشريحة المدمنين سيأتي أكله ولو بعد حين، وكما يقال فإن أول الغيث قطرة، لذلك فالخطاب المسجدي الذي يتوجه به إلى عامة الناس يجب أن يكون له نوافذ عابرة إلى هذه

الفئة، ويمكن لرواد المساجد أن يكون لهم منفذا إلى هذه الفئة عبر صلة القرابة أو عبر الوسائط الإعلامية فيذكرونها باستمرار بحكم الدين في هذه القضايا وما تخلفه من مفاسد وأضرار.

3-1-2- دور الخطاب المسجدي في مواجهة ظاهرة الإدمان في ضوء مرتكز مصدرية الوحي:

إن الخطاب المسجدي إذا تمكن من الوصول إلى فئات عريضة وكان مستندا إلى الوحي الإلهي القرآن والسنة . فإن تلقيه والتجاوب معه من طرف السامعين سيكون بالغ الأهمية، لما يتميز به من قوة الإقناع، فقد يصل هذا الخطاب إلى الأفراد المدمنين في شكل رسالة تحمل مضامين عقدية كوجوب الإيمان بالله واليوم الآخر، أو يتضمن هذا الخطاب أخبار عن أهوال يوم القيامة أو الحديث عن الحساب والجزاء، والجنة والنار ونحوها من الأخبار، فتلقي المدمن لمثل هذا الخطاب قد يجعله يفكر في مجانبة هذه الآفات. ويمكن أن يصل هذا الخطاب في شكل رسالة تحمل مضامين تشريعية كتبيان أن هذا الفعل . الخمر مثلا. حرام وقد ثبت تحريمه بالكتاب والسنة، فهذه الرسالة أيضا قد تجبر المدمن ولو لمرة أن يفكر في ترك هذا الفعل. وقد يصل هذا الخطاب في شكل رسالة تحمل مضامين أخلاقية، ككون هذا الفعل رجس، وأنه لا يليق بكرامة المؤمن، وأن من يتعاطاه ليس برجل وأن العقلاء لا يقبلونه لقذارته ونحو ذلك من المضامين، فإن المدمن سيفكر في مراجعة نفسه طالما أن الأمر يتعلق بالشخصية والعلاقات الاجتماعية. وبناء على هذه الاستنتاجات يمكن القول

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

بأن الخطاب الديني الذي تستند رسالته إلى نصوص الوحي الإلهي . القرآن والسنة. قد يكون له دورٌ هامٌ في مساعدة المدمنين للعودة إلى حياتهم الطبيعية.

3-1-3- دور الخطاب المسجدي في مواجهة ظاهرة الإدمان في ضوء مرتكز الاهتمام بعوالم الإنسان الثلاثة:

الإنسان كما يعلم الجميع هو جسد وعقل وروح، وكل مكون من هذه المكونات يحتاج إلى العناية والاهتمام، لذا يجب على الخطاب المسجدي مراعاة هذا الأمر، فيعطي للجسد حقه من الاهتمام كالحديث عن الطهارة والتطهر وأكل الطيبات واجتناب الخبائث من أجل المحافظة على الصحة وقوام الجسم، وكما يعطي الخطاب للجسد حقه من الاهتمام فعليه أيضا أن يعطي مساحة من الاهتمام للعقل باعتباره من أجلّ النعم التي حبا الله بها خلقه، فمن خلاله يستطيع المرء أن يفكر ويميز بين الخير والشر وبين الضار والنافع. فإكساب الأفراد مثل هذه المعلومات قد يجعلهم يفكرون في الحفاظ على عقولهم، فلا يتناولون ما يضرها، وكذلك الجانب الروحي يجب أن يكون له حظه في مساحة الخطاب، فإدراك الأفراد لأهمية القيم الروحية في حياتهم قد يجعلهم يزهدون فيما هو مباح، وبالتالي فلا يفكرون في اقتراف المنهيات بكافة أنواعها.

2-3 - دور الخطاب الديني في مواجهة ظاهرة الإدمان في ضوء المواصفات:

3-2-1- دور الخطاب الديني في مواجهة ظاهرة الإدمان في ضوء صفة الوِفَاقية:

ونعني بوفاقية الخطاب، أي أنه يعمل على جمع الأفراد والجماعات في صف واحد وعلى كلمة واحدة، فعندما يكون الخطاب كذلك فسيكون له دور كبير في تحقيق التماسك الاجتماعي، والذي هو مطلب سياسي بالدرجة الأولى لكونه يساهم في تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعيين، وهو أيضا مطلب اجتماعي لكونه يحفظ المجتمع من التآكل الداخلي، فعندما يشعر أفراد المجتمع بأنهم كالجسد الواحد يشعر بعضهم بالبعض الأخر شعورا حقيقيا فلا يتوقع حينئذ حدوث الانحراف وارتكاب الفواحش والموبقات.

3-2-2- دور الخطاب الديني في مواجهة ظاهرة الإدمان في ضوء صفة الواقعية:

ونعني بواقعية الخطاب، أن تتجلى مظاهره في التركيز على القضايا الاجتماعية الراهنة فالخطاب الديني المسجدي مع أصالته يجب أن يواكب التطورات ويساير التحولات، يحلل ويناقش قضايا الواقع، ويصف الحلول لجميع المشكلات، فلا يجب أن يغيب أو يُغيّب عن انشغالات الأفراد وهموم الأمة، فكلما كان هذا الخطاب واقعيا فإنه سيأخذ في الحسبان الظواهر المستجدة ويتناولها تناولا شرعيا فيساهم بذلك في توضيح الموقف الشرعي منها في الحين، فيكون كالقارعة التي تقرع آذان الفرد فيعظ ويحذر.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

3-2-3- دور الخطاب الديني في مواجهة ظاهرة الإدمان في ضوء صفات البساطة والوضوح:

الخطاب المسجدي كلما كان بسيطا وواضحا وخاليا من الصعوبة والتعقيد سواء من حيث المحتوى أو في أسلوب النشر والتبليغ، ويراعي أحوال ومستويات جمهوره من المتلقين، فإنه سيصل إلى أكبر عدد من الأفراد والجماعات، وهو بهذه الصفات سيساهم في تنمية الوعي ونشر القيم، وإذا حصل ذلك فإن الفضيلة هي التي ستسود ويتحقق النبل والطهر في المجتمع، وهذا كفيل بقطع دابر الجرائم والآفات.

في الأخير، وكاستنتاج عام يمكن القول أن الخطاب الديني المسجدي باستطاعته أن يؤدي الدور المنوط به في ظل اعتماده على تلك الأسس والمرتكزات واتصافه بتلك المواصفات التي سبق الإشارة إليها، وهو الأمر الذي سيسمح بإيصال رسالة الإسلام الصحيحة، وبالتالي يتم ضمان حفظ الدين والنفس والعقل والأموال والأعراض، وبذلك يتطهر المجتمع من جميع الآفات.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

خاتمة:

لقد سعت هذه الورقة إلى إبراز دور الخطاب الديني المسجدي كآلية اتصالية للحد من الإدمان كظاهرة مرضية وما تسببه من مشكلات للفرد وللمجتمع والدولة، ويأتي على رأس مشكلات هذه الآفة تمزيق شبكة العلاقات الاجتماعية وبث الخوف والرعب في النفوس، وهو ما يتعارض مع مقصد الدين في توحيد الأمة ولم شملها وبث الأمن والطمأنينة بين أبناءها، فالخطاب المسجدي المبني على أسس ومرتكزات العمومية ومصدرية الوحي والمستوعب لعوالم الإنسان الثلاثة؛ الجسد والعقل والروح، والمتصف أيضا بالوفاقية والواقعية والبساطة والوضوح يمكن للأمة أن تراهن عليه إلى حد بعيد من أجل المحافظة على هويتها وحفظ أمنها تماسكها.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد17 / العدد: 20 (2023)، ص 13- 36
Vol 17 / N° 20 (2023), page 13- 36

التوصيات:

ولتفعيل دور الخطاب الديني المسجدي توصي الورقة بما يلي:

1. ضرورة إتمام عملية تأطير المساجد بالأئمة المؤهلين.
2. إيجاد آليات تسمح بتزويد الإمام بالمعلومات الكافية عن الأوضاع البيئية والاجتماعية.
3. إدراج بعض العلوم ضمن منظومة التكوين كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاتصال.
4. إخضاع الأئمة لدورات تكوينية مستمرة مع المختصين في التخصصات ذات الصلة بالخطاب.
5. تشجيع الأئمة من خلال تحسين نظام الحوافز.

المراجع:

1. آبادي، محمد بن يعقوب الفيروز. (2008). القاموس المحيط، لبنان: دار الفكر.
2. بوق لقولة، عاشور. (2007). الخطاب الديني وأبعاده المقاصدية، رسالة المسجد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد1، الجزائر.
3. الترابي، حسن. (1990)، تجديد الفكر الإسلامي، ط1، قسنطينة: دار البعث.
4. الجريدة الرسمية، العدد 58 بتاريخ 14 محرم1435هـ الموافق لـ 18 نوفمبر 2013م.
5. جواد فطاير. (د س). الإدمان (أنواعه، مراحله، علاجه)، مصر: دار الشروق.
6. حجاب، محمد منير. (2004). تجديد الخطاب الديني، ط1، القاهرة: دار الفجر.
7. خليل، معن. (2006). معجم علم الاجتماع، ط1، الأردن: دار الشروق.
8. الطبري، ابن جرير. (دس). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، المجلد، بيروت: دار الفكر
9. عادل الدمرداش، (1982)، الإدمان ومظاهره وعلاجه، سلسلة عام المعرفة رقم 56. الكويت سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

10. فرج عبد القادر، طه وآخرون. (د س)، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، بيروت: دار النهضة العربية.

11. محمد الغزالي، (د س)، خلق المسلم، الجزائر. منشورات بغدادي.

12. محمد سلامة غباري. (2007)، الإدمان خطر يهدد الأمن الاجتماعي، ط1، الاسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر.

13. وانلي، خير الدين. (1992). المسجد في الإسلام . أحكامه، آدابه، بدعه، ط3، الأردن: المكتبة الإسلامية.